

يا عمال العالم، اتحدوا!

طريق البلشفية



سؤالين

مهمّات الحزب المباشرة في الفضيّة الفوميّة

أطروحات

إلى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي)

أقرتها لجنة الحزب المركزيّة في 10 شبّاط 1921

ترجمة

محمد علي العربي

نشر في النشرة البلشفية العربية

نوفمبر، آذار 2012

نوقشت أطروحات الرفيق ستالين في اجتماع المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي البلشفي في 5 شباط 1921، وعُيّنَت لجنة على رأسها لينين وستالين لكتابة مسودّتها التّهائية. نُشرت الأطروحات في صيغتها التّهائية في العدد 29 من جريدة الحقيقة بتاريخ 10 شباط 1921. المترجم.

1. النظام الرأسمالي والاضطهاد القومي

فقرة 1 الأمم الحديثة هي نتاج مرحلة محدّدة؛ مرحلة الرأسمالية الصاعدة. ومسار تصفية الإقطاع وتطوّر الرأسمالية هو في ذات الوقت مسار تجمّع التّاس في أمم. وقد تجمّع الإنجليز والفرنسيّون والألمان والإيطاليّون في أمم خلال تطوّر الرأسمالية التّاجح الذي هزم التّجزئة الإقطاعية ❖

فقرة 2 أيّما تزامن تكوّن الأمم مع تكوّن الدّول الممرّكة، بوجه عام، أكنست الأمم لحافا حكوميّا وتطوّرت إلى دول قوميّة برجوازيّة مستقلّة. كان الأمر على هذا التّحو في إنجلترا (دون إيرلندا) وفرنسا وإيطاليا. وفي شرق أوروبا، على العكس، سبق تكوّن الدّول الممرّكة، بفعل الحاجة للدّفاع الدّاتي (غزو الأتراك، المغول، الخ)، تصفية الإقطاع؛ وبالتالي سبق تكوّن الأمم. ذلك ما جعل الأمم فيها برجوازيّة مختلطة، متعدّدة القوميّات، ومتكوّنة من أمة قويّة مهمّنة وبعض القوميّات الضّعيفة الخاضعة. وعلى هذا التّحو كانت التّمسا والمجر وروسيا ❖

فقرة 3 إذا ما تحدّثنا على نحو عامّ، ليس في الدّول القوميّة من قبيل فرنسا وإيطاليا، والتي اعتمدت في البداية أساسا على قواها الخاصّة، اضطهادا قوميّا. وعلى عكس ذلك، تمثّل الدّول متعدّدة القوميّات، التي تأسّست على هيمنة أمة واحدة—وبالأصحّ على هيمنة طبقتها السّائدة—على بقية القوميّات، الوطن الأوّل والحقل الرّئيسي للاضطهاد القومي والحركات القوميّة. والتناقض بين مصالح الأمة المهيمنة ومصالح القوميّات الخاضعة لها هو تناقض يستحيل دون حلّه وجود دولة متعدّدة القوميّات وجودا مستقرّا. ومأساة التّولة البرجوازيّة متعدّدة القوميّات، هي أنّها لا تستطيع حلّ تناقضاتها، وأنّ كلّ محاولة منها لل«مساواة» بين القوميّات و«حماية» الأقليات

القومية، مع الحفاظ على الملكية الخاصة والحيف الطبقي، تنتمي، عادة، إلى فشل جديد وإلى تشديد جديد من خطورة النزاعات القومية ❁

فقرة 4

تطور الرأسمالية اللاحق في أوروبا، والحاجة إلى منافذ جديدة. والبحث عن المواد الأولية والمحروقات، وأخيرا، تطور الإمبريالية، وتصدير رؤوس المال وضرورة تأمين أكبر الطرقات البحرية والحديدية -أدى كل ذلك، من جهة أولى، إلى إلحاق أراضي جديدة بالدول القومية القديمة وتحول هذه الأخيرة دولا متعددة القومية (استعمارية) بكل ما فيها أصلا من اضطهاد قومي ونزاعات قومية (إنجلترا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا)؛ ومن جهة ثانية، إلى تقوية نزوع الأمم السائدة في الدول متعددة الجنسيات القديمة لا إلى الحفاظ على الحدود القديمة للدولة فحسب، بل أيضا إلى توسيعها وإخضاع قوميات جديدة (ضعيفة) على حساب الدول المجاورة. وعلى هذا النحو، اتسعت القضية القومية وامتزجت، في آخر الأمر، وبفعل سير الأمور ذاته، بالقضية العامة للمستعمرات؛ وتحول الاضطهاد القومي من قضية داخل الدولة إلى قضية تهم عدة دول؛ قضية نزاع (وحروب) القوى «العظمى» الإمبريالية لإخضاع القوميات الضعيفة والتي لا تتمتع بكامل حقوقها ❁

فقرة 5

إن الحرب الإمبريالية، التي كشفت عن جذور التناقضات القومية العدائية وعن ضعف الدول البرجوازية متعددة القوميات الداخلي، انتهت إلى أقصى تشديد في خطورة النزاعات القومية داخل الدول الاستعمارية المنتصرة (إنجلترا، فرنسا، إيطاليا)، وإلى انحطاط الدول متعددة القوميات المنهزمة انحطاطا تاما (التمسا، المجر، روسيا 1917)، وأخيرا، إلى تكون دول قومية برجوازية جديدة (بولونيا، تشيكوسلوفاكيا، جورجيا، أرمينيا، الخ). لكن تكون دون قومية مستقلة جديدة لم يركز تعايشا سلميا بين القوميات ولا يمكنه ذلك؛ فلم يقض على عدم المساواة القومية والاضطهاد القومي ولا يمكنه ذلك، فإذا تركزت الدول القومية الجديدة على الملكية الخاصة والحيف الطبقي، لا يمكنها أن تعيش: أ. دون أن تضطهد أقليتها القومية (تضطهد بولونيا التروس البيض واليهود والليتوانيين والأكراتيين؛ وتضطهد جورجيا الأوساتيين والأبخاز والأرمن؛ وتضطهد يوغسلافيا الكروات والبوسنيين،

الخ)؛ ب. ودون أن توسع أراضيها على حساب جيرانها مما يتسبب في نزاعات وحروب (بولونيا ضد ليتوانيا وأوكرانيا وروسيا؛ يوغسلافيا ضد بلغاريا؛ جورجيا ضد أرمينيا وتركيا، الخ.)؛ ت. ودون خضوع للقوى «العظمى» الإمبريالية من التواحي المالية والاقتصادية والعسكرية ❖

6 نشرة

وهكذا تكشف مرحلة ما بعد الحرب لوحة تعيسة من الحقد القومي والحيف والاضطهاد والنزاعات والحروب وما في أم البلدان المتمدنة من وحشية إمبريالية سواء نحو بعضها البعض أو نحو الشعوب التي لا تتمتع بكامل حقوقها: فمن جهة بضعة قوى «عظمى» تضطهد كل الجماهير في الدول القومية التابعة و«المستقلة» (وفي الواقع في تبعية مطلقة)، وتتصارع فيما بينها على احتكار استغلال الدول القومية؛ ومن جهة ثانية، نضال الدول القومية التابعة والمستقلة ضد ما تسلطه عليها القوى «العظمى» من اضطهاد لا يحتمل؛ نضال الدول القومية فيما بينها لتوسيع أراضيها القومية؛ نضال الدول القومية، كل على حده، ضد الأقليات القومية المضطهدة؛ وأخيرا، تعاظم حركة تحرر المستعمرات ضد القوى «العظمى» والتشديد من خطورة النزاعات القومية سواء داخل تلك القوى أو داخل الدول القومية التي في صلبها، كقاعدة ثابتة، جملة من الأقليات القومية. تلك هي «لوحة العالم» التي خلقتها الحرب الإمبريالية. لقد اتضح تماما أن المجتمع البرجوازي مفلس عند حلّ المشكل القومي ❖

2. النّظام السّوفييتي والحريّة القوميّة

فقرة 1 إذا كان من الحتمي أن تفرّق الملكية الخاصّة ورأس المال الثّاس، وأن يثيرا الحقد القومي، وأن يقويا الاضطهاد القومي، فمن الحتمي أيضا أن تقرب الملكية والعمل الجماعيين الثّاس، وأن يصدّ الحقد القومي وأن يطيح بالاضطهاد القومي. فلا يمكن تصوّر وجود الرّأساليّة دون اضطهاد قومي، تماما مثلا لا يمكن تصوّر وجود الاشتراكية دون تحرّر الأمّ المضطّدة ودون حريّة قوميّة. إنّ السّوفييتيّة والنضال القومي لا مفرّ منها، محتومان، طالما أنّ الفلاحين (وعموما، البرجوازيّة الصّغيرة في الأمّ السّائدة قبل كلّ شيء)، المشبعين بالأفكار المسبقة، يتبعون البرجوازيّة. وعلى عكس ذلك، يمكننا أن نعتبر السّلم القومي والحريّة القوميّة مضمونان إذا ما تبع الفلاحون الطبقة العاليتة؛ يعني إذا كانت دكتاتوريّة الطبقة العاليتة مضمونة. كما أنّ انتصار السّوفييتات وتركيز دكتاتوريّة الطبقة العاليتة هي الشّروط الجوهريّة للإطاحة بالاضطهاد القومي، وإقامة المساواة القوميّة، ولضمان حقوق الأقليات القوميّة ❖

فقرة 2 لقد أكّدت تجربة الثّورة السّوفييتيّة هذه الأطروحة على نحو تامّ. لقد غيرّ تركيز النّظام السّوفييتي في روسيا وإعلان حقّ الأمّ في الانفصال وتكوين دول خاصّة بها، غيرا مجمل العلاقات بين الجماهير الكادحة من القوميّات التي تقطن روسيا، وضربا الحقد القومي القديم، واقتلعا الاضطهاد القومي من جذوره، وأكسبا العمال الروس ثقة إخوانهم من القوميّات الأخرى لا في روسيا فحسب بل أيضا في أوروبا وآسيا، ودفعوا بتلك الثّقة إلى حدّ السّعادة وإلى حدّ إرادة النضال في سبيل القضيّة المشتركة. لقد أدّى تكوّن الجمهوريات السّوفييتيّة في أذربيجان وأرمينيا إلى نفس النتيجة؛ إلغاء التّراعات القوميّة وإزاحة الحقد «القديم» القائم بين الجماهير الكادحة

التَّرْكِيَّة والأرمنيَّة، وبين الأرمنيَّة والأذريَّة. ويجب أن نقول نفس الشيء عن انتصار السوفيينات المؤقت في الجمر والبايفار وفنلندا وليتوانيا. ومن جهة أخرى، يمكننا أن نؤكد عن يقين أن العمال الروس لم يكن لهم أن يهزموا كولتسك ودينكين، وأن جمهوريِّي أذربجان وأرمينيا لم يكن لهما أن تقفا على قدميهما دون أن تصفيا ما لديهما من الحقن قومي والاضطهاد القومي، ودون ما حصلنا عليه من ثقة وعطف جاهير كادحي أم الشرق والغرب. إن تقوي الجمهوريات السوفيينية والإطاحة بالاضطهاد القومي هما وجهان لنفس المسار الواحد، مسار تحرر الكادحين من العبودية الإمبريالية ❖

فقرة 3

لكن وجود الجمهوريات السوفيينية، حتى أقلها معنى من جهة الاتساع، تمثل تهديدا مميئا للإمبريالية. فلا يمكن ذلك التهديد فقط في أن تلك الجمهوريات، وقد انفصلت عن الإمبريالية، قد انتقلت مما كانت عليه من مستعمرات وشبه مستعمرات إلى دول حقيقية مستقلة، وجردت الإمبريالية من جزء إضافي من الأرض وجزء إضافي من المداخل؛ بل بتمثل، قبل كل شيء، في أن وجود الجمهوريات السوفيينية نفسه، وكل خطوة تخطوها تلك الجمهوريات في طريق سحق البرجوازية وتقوية دكتاتورية الطبقة العاملة إنما هي أجدى تحريض للبلدان التابعة على التحرر من العبودية الإمبريالية ضد الرأسالية والإمبريالية، وعامل لا يفهر لتفكك والخلال الرأسالية من جميع التواحي. من هنا يقوم الصراع المحتوم الذي تخوضه القوى «العظمى» ضد الجمهوريات السوفيينية، وتقوم جمود القوى «العظمى» لإخاد جذوة تلك الجمهوريات. إن تاريخ الصراع بين روسيا السوفيينات من جهة والقوى «العظمى»، التي تشخذ ضدها الدول البرجوازية المحيطة الواحدة تلو الأخرى ومجموعات الجزرالات المضادين للثورة، وتقوم بمقاطعتها بعناية، وتبذل الجهد لعزلها اقتصاديا - إن هذا التاريخ يشهد على أن ما من جمهورية سوفييتية، مأخوذة على حده، وبالتنظر إلى العلاقات الدولية الزاهنة، وفي ظروف الحصار الرأسالي، يمكن اعتبارها مضمونة من الاستنزاف الاقتصادي والتدمير العسكري من جانب الإمبريالية العالمية ❖

كما أنّ الوجود المنعزل لمختلف الجمهوريات السوفيتية غير مستقرّ وظرفي وهو مهدّد من جانب التولّ الرأسمالية. إنّ المصالح المشتركة في الدفاع عن الجمهوريات السوفيتية، من جهة أولى؛ وإعادة تركيز قوى الإنتاج التي دمرتها الحرب، من جهة ثانية؛ وفي المقام الثالث، أنّ تقدّم الجمهوريات السوفيتية المنتجة للمصالح المساعدة الغذائية اللازمة للجمهوريات السوفيتية التي لا تنتجها - تلك المصالح تقتضي وجوباً اتّحاد مختلف الجمهوريات السوفيتية في دولة واحدة، كطريق وحيد منقذ من العبودية الإمبريالية والاضطهاد القومي. فلا يمكن للجمهوريات السوفيتية القومية، وقد تحرّرت من برجوازية «ها» ومن البرجوازية «الأجنبية»، أن تحافظ على وجودها وأن تهزم قوى الإمبريالية المتعاضدة إلّا بأن تتحد أوثق اتّحاد في دولة واحدة وإلا فلن تنصر أبداً ❁

فيدرالية الجمهوريات السوفيتية المرتكزة على الأمور العسكرية والاقتصادية المشتركة هي الشكل العامّ للاتّحاد صلب الدّولة التي تمكّن من:

- أ. ضمان مجمل الاقتصاد وتطوّره سواء داخل مختلف الجمهوريات وفي كامل الفيدرالية؛
- ب. أنّ تحيط بكلّ تنوع ظروف الحياة والثّقافة ووضع الاقتصاد عند مختلف شعوب وأمم حسب درجات تطوّرها، وأن تطبّق، بالتالي، الشّكل الملائم من أشكال الفيدرالية؛
- ت. تنظّم التعايش السلمي والتعاون الأخوي بين الشعوب والأمم التي ربطت مصيرها، على شكل من الأشكال، بمصير الفيدرالية.

إنّ تجربة روسيا في ما اتّصل بتطبيق مختلف أشكال الفيدرالية من الفيدرالية المرتكزة على الحكم الّثاني السوفيتي (الكيرغيز، البشكير، التتار، مونتاغار، داغستان) حتّى الفيدرالية المرتكزة على علاقات تعاقدية مع الجمهوريات السوفيتية المستقلّة (أوكرانيا، أذربيجان) مع قبول درجات بينها (تركستان، روسيا البيضاء) - هذه التجربة أكّدت، على نحو تامّ، كامل ملائمة ومرونة الفيدرالية من جهة أنّها شكلاً عامّاً لاتّحاد الجمهوريات السوفيتية في دولة واحدة ❁

لكن لا يمكن أن تكون الفيدرالية صلبة وثنائجها حقيقية إلا في حال استندت على الثقة المتبادلة بين البلدان المكونة لها وحرية انضمام تلك البلدان إلى الفيدرالية. فإذا كانت الجمهورية السوفيتية الفيدرالية الاشتراكية الروسية هي البلد الوحيد في العالم التي نجحت في تجربة تعايش سلمي وتعاون أخوي في مجموعة كاملة من الشعوب والأمم، فإن ذلك بسبب أنّ ليس فيها لا مهيمنين ولا خاضعين، لا احتكارات ولا مستعمرات، لا إمبريالية ولا اضطهاد قومي؛ فهنا تستند الفيدرالية على الثقة المتبادلة وعلى إرادة جواهر كادحي مختلف الأمم في الاتحاد. إنّ هذا الطابع الطوعي للفيدرالية يجب مطلقاً أن يحافظ عليه في المستقبل لأنّ فقط فيدرالية من هذا القبيل يمكنها أن تصحح الشكل الانتقالي نحو الاتحاد الأعلى لكادحي كلّ البلدان في اقتصاد عالمي واحد تزداد ضرورته أكثر فأكثر ❁

3. مهمات الحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) المباشرة

فقرة 1

بقدر ما تركّز الثورة العمالية فيدراليّة حرّة من الجمهوريات السوفييتية القومية مكان الدولة الإمبريالية متعدّدة القوميات، يضمن النظام السوفييتي لكادحي الأمم التي كانت مضطّدة تطوّرا متدرّجا وغير مؤلم نحو الشيوعية ويفتح لهم إمكانيّة، خلال نضالهم ضدّ بقايا الاضطهاد والحيث القوميين وضدّ ما عندهم من فئات عليا من المستغلّين، إمكانيّة الاستناد على ما للطبقة العمالية من تجربة ثورية وقوة منظمّة في البلدان المتقدّمة. تتمثل الجمهوريّة السوفييتية الفيدرالية الاشتراكية الروسية والجمهوريات السوفييتية المستقلّة المرتبطة بها ما يناهز 140 مليون نسمة؛ منهم قرابة 65 مليون نسمة ليسوا روسا-عظاما (أوكرانيون، روس بيض، كيرغيز، أوزباك، تركمان، طاجيكون، أذربيون، تاتار الفلغا، تاتار الكرمه، بخاريون، كيبين، بشكير، أرمن، شيشان، كبرديون، أزوتيون، شركس، أنغوش، كارانشيس، بلغارس، كلموكس، كاريليون، أفاريون، دارغيون، كازيكوموكس، كومكس، مارييس، تشوفاش، فوتياكس، بوريات، ياقوت، وغيرها). لقد كانت تتمثّل سياسة القيصريّة، سياسة كبار المالكين العقاريين والبرجوازيّة، نحو تلك الشعوب، في أن تقضي على ما عندهم من جنين مؤسّسة الحكم، وتشوّه ثقافتهم، وتمنع استخدام لغتهم، وتركهم مهمّشين، وتروّسهم قدر المستطاع. ونتأخّج مثل تلك السياسة هي: نقص في الثقافة وتأخّر عند تلك الشعوب. والآن وقد أطيح بكبار المالكين العقاريين وبالبرجوازيّة، وقد أعلنت الجماهير الشعبيّة السوفييتية في تلك البلدان أيضا، فإنّ مهمّة الحزب تتمثّل في أن يساعد الجماهير الكادحة في الشعوب غير الروسية-العظيمة على أن تلتحق بروسيا الوسطى التي كان لها السبق؛ أن يساعدها على:

أ. أن تتطوّر وتتقوى عندها مؤسسة الحكم السوفيتي في أشكال تستجيب لظروف تلك الشعوب القومية والمعيشية؛

ب. أن تتطوّر وتتقوى عندها المحاكم والإدارات والهيئات الاقتصادية وهيئات السلطة لتعمل باللغة القومية وتتألف من أهل القومية الذين يعرفون ظروف شعوبهم القومية؛

ت. أن تتطوّر عندها الصحافة والمدرسة والمسرح والتوادي والمؤسسات الثقافية والتربوية عموما بلغتها القومية؛

ث. أن تنظّم وتتطوّر عندها شبكة واسعة من المحاكم ومدارس القضاء العام والمهني والفني باللغة القومية (وفي المقام الأول، الكيرغيز والبشكير والتركمان والأوزباك والطاجيك والأذريون والتتار والداغستانيون) قصد التسريع في تكوين كوادر محلية من العمال المختصين والعاملين في المؤسسات السوفيتية والحزب من جميع القطاعات الإدارية وقبل كلّ شيء من قطاع القضاء ❁

فقرة 2

إذا ما استثنينا أوكرانيا وروسيا البيضاء وجزءا من أذربجان وأرمينيا، وقد مرّ جميعها بمرحلة رأسمالية صناعية إلى درجة معينة، من السكان غير الروس-العظام الذين يعدّون 65 مليون نسمة، لبقية ما يناهز 30 مليون نسمة هم أساسا أتراك (تركستان، القسم الأكبر من أذربجان، داغستان، منتاغانر، تتار، بشكير، كيرغيز، الخ) لم يكن لهم من الوقت حتّى يمزّوا بالتطوّر الرأسمالي وليس لهم أو تقريبا ليس لهم طبقة عمالية خاصة بهم ولا يزالون، في غالب الأحوال، على تربية الماشية وحافظوا على العلاقات الأبوية والقبلية (كيرغيز، بشكير، شال القوقاز)، أو لم يتخلّوا تماما عن الأشكال شبه الأبوية وشبه الإقطاعية في عيشهم (أذربجان، كرميه، الخ) لكنهم قد دخلوا في الطريق العام للتطوّر السوفيتي. هنا، الإطاحة الفعلية بعدم المساواة القومية هي مسار طويل الأمد ويتطلّب نضالا دؤوبا وعنيدا ضدّ كلّ مخلفات الاضطهاد القومي وعبودية الاستعمار.

ويرتكز عدم المساواة القومية هنا إلى حدّ الآن على عدم المساواة الاقتصادية التي تكونت تاريخيا. وعدم المساواة هذه تظهر، قبل كلّ شيء، في واقع أنّ تلك المناطق

المحيطة بروسيا (خاصة تركستان)، التي توجد في وضع مستعمرات وشبه مستعمرات نراها مجبرة على القيام بدور المزود بالمواد الأولية من كل نوع لتصنع في المركز. فذلك ما كان سبب تأخرها الدائم وما يمنع جديا تطور طبقة عمالية صناعية عند الشعوب المضطهدة.

يجب على الثورة العمالية أن تواجهه، حتما، كل تلك العوامل في المناطق المحيطة الشرقية؛ فهمتها الأولية هي أن تصفي، بنفس متواصل، كل بقايا عدم المساواة القومية في جميع ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وفي مقدمة ذلك، أن تغرس الصناعة في المحيط على نحو منهجي وذلك بنقل المعامل إلى مصادر المواد الأولية (تركستان، بشكير، كيرغيز، القوقاز: صناعات النسيج والصوف والجلد، الخ).

إذ يكسب الحزب ثقة الجماهير الكادحين في المحيط الشرقي بنضاله الحازم والمنسجم في سبيل إلغاء كل أشكال عدم المساواة القومية، فإنه يجمع ويوحد، في ذات الوقت، تلك الجماهير لتصفية العلاقات الأبوية-الإقطاعية في ذات الأم التي كانت مضطهدة من قبل، تصفية نهائية، و ليشركها في البناء الشيوعي. ويجب أن تكون أولى الخطوات في سياسة التمايز الطبقي في المحيط الشرقي سحب الجماهير من تأثير كل العناصر المستغلة المحلية، والنضال ضد تلك العناصر في جميع أجهزة الحكم الذاتي الإداري السوفيتي، وتجريدها من امتيازاتها الطبقيّة بانتظام الجماهير المحليّة التلقائي في سوفيتيات الكادحين. ويجب علينا، في ذات الوقت، وفي المقام الأول، أن ننظم وأن ندعو، بأقصى عناية، إلى صفوف الحزب العناصر العمالية المحلية على قلتهم النسبية المشتغلين في مختلف الاستثمارات من مناجم وسكك الحديد ومزارع الكولاك. والخطوة التالية يجب أن تكون التنظيم الاقتصادي للفقراء المحليين، تنظيم من طراز مختلط مهني وتعاوني مشروط بمرور الجماهير الكادحة المحلية من الأشكال الاقتصادية المتأخرة إلى الأشكال العليا؛ من نمط العيش البدوي إلى الزراعة؛ من الحرف التعاونية لفائدة السوق الحرّ إلى العمل في جمعيات الإنتاج التعاوني لفائدة التولية السوفيتية (انتداب الحرفيين وشبه العمال للنقابات)؛ من الإنتاج الحرفي في جمعيات الإنتاج التعاوني إلى إنتاج المعامل والمصانع؛ من الزراعات الصغيرة إلى

الفلاحة الجماعية وفق تخطيط. يجب على الحكومة السوفيتية، قبل كل شيء، وعبر شبكة أجهزة التعاون الاستهلاكي الموحد، أن تقدم العون للجماهير شبه العالمة المحلية المهتدة بالانهايار بسبب فوضى الاقتصاد.

بالنظر إلى هذه الظروف الخاصة في بناء الاقتصاد السوفيتي، يجب أن يكون عمل الأجهزة الاقتصادية منطما في اتجاه نقل محوره إلى الأوساط المحلية؛ فيجب أن تكون الاستثمارات الحرفية وغيرها مجمعة في منظمة اقتصادية وفق تخطيط؛ ويجب أن تقوم صلة صلبة بالجماهير المنتجة الرئيسية من السكان، وأن يوضع تخطيط ملموس للزراعة والصناعة في المحيط، آخين الظروف المحلية بعين الاعتبار. ويجب أن نحذر بحزم من الاستعمال الأعمى للأمثلة من روسيا الوسطى السوفيتية خاصة عند تطبيق احتكار القمح في المحيط، ونربط تطبيق سياسة التمويل، لا بالأقوال بل بالأفعال، بسياسة التمايز الطبقي في الأوساط المحلية المتأخرة. ويجب التخلي عن كل تركيز ميكانيكي للتدابير الاقتصادية المتخذة في روسيا الوسطى والتي لا تكون جيدة إلا عند درجة عالية من التطور الاقتصادي. فلا يمكن لسوفيتات الكادحين أن تجر شعوب الشرق في النضال المشترك مع الطبقة العالمة في البلدان المتقدمة، الساعد جنب الساعد، إلا بتنظيم الجماهير الهائلة من السكان المحليين الفقراء على أساس مصالحهم الاقتصادية الحيوية.

ملاحظة
3

إذا ما استثنينا من 30 مليون نسمة من السكان معظمهم أترك، أذربيجان وأكبر أجزاء تركستان والتتار (في الفلغا وفي الكريميميه) والبشكير والكيفا وداغستان وجزءا من المتناغار (الكبارديون والشركس والأنجاز) وبعض الشعوب الأخرى التي أصبحت رعوية وملتصقة جدا بأرض محددة، لبقني ما يناهز 10 ملايين نسمة من الكيرغيز والبشكير والشيشان وجزءا جنوبيا من تركستان وأستونيين وأنغوش الذين كانت أرضهم إلى وقت قريب يستعمرها المستوطنون الروس الذين كانوا قد نجحوا في انتزاع أجدود الأراضي الفلاحية ودفعوا بهم بانتظام إلى الأراضي العاقرة. لقد كانت سياسة القيصرية، سياسة كبار المالكين العقاريين والبرجوازية تتمثل في أن تغرس في تلك المناطق أكثر ما يمكن من عناصر الكولاك المنتقين من بين الفلاحين

الروس والقوقازيين جاعلة منهم سند موثوقا لمرامها الإمبريالية. لقد كانت نتيجة هذه السياسة السحق المتدرج للسكان المحليين الذين أبعادوا إلى المناطق غير الفلاحية (الكيرغيز والبشكير).

تمتثل مهمّة الحزب تجاه جماهير الكادحين في هذه الشعوب (إلى جانب المهات المذكورة في الفقرتين الأولى والثانية) في ضمّ جهودها إلى جهود جماهير الكادحين الروس المحليين في النضال من أجل التحرّر من طبقة الكولاك بوجه عامّ، ومن الكولاك الروس-العظام اللّصوص بوجه خاصّ؛ مساعدتهم بكلّ قوّة وكلّ وسيلة على الإطاحة بالكولاك المستعمرين فنضمن لهم على هذا النحو الأراضي الصّالحة والضروريّة للوجود الإنسانيّ.

فقرة 4

إلى جانب الشعوب والأمم المذكورة أعلاه والتي لها تركيبة طبقية محدّدة وتعيش على أرض محدّدة، توجد أيضا، على أطراف الجمهوريّة السوفيتية الفيدرالية الاشتراكية الروسية مجموعات قومية غير ثابتة، أقليات قومية متداخلة في أغلبية قومية أخرى متجانسة، وليس لها، في أغلب الأحوال، أرض محدّدة (ليتوانيون، إستونيون، بولونيون، يهود، إلخ). لقد كانت تتمثل سياسة القيصرية في سحق تلك الأقليات بكلّ الوسائل بما فيها المذابح (مذبحة اليهود). والآن وقد أُطيح بالامتيازات القومية، وأقيمت المساواة بين الأمم، وضمن حقّ الأقليات القومية في التطوّر الحرّ بطبيعة النظام السوفيتي نفسه، فإنّ مهمّة الحزب نحو الجماهير الكادحة في تلك المجموعات القومية هي أن يساعدها على أن تستغلّ ذلك الحقّ المضمون لها في التطوّر الحرّ استغلالا كاملا ❁

فقرة 5

يتواصل تطوّر المنظّمات الشيوعية في المحيط في ظروف خاصّة بعض الشيء تعرقل نموّ الحزب نموًا طبيعيًا في تلك المناطق. فمن جهة، هناك الشيوعيون الروس-العظام الذين يناضلون في المحيط قد تكوّنوا في إطار وجود أمة «ذات سيادة» ولم يعرفوا اضطهادا قوميا وغالبا من يستنقصون من أهميّة الخصائص القومية في عمل الحزب والمنظّمات السوفيتية، أو أنّهم لا يأخذون أبدا بعين الاعتبار في عملهم خصائص

كلًا من التركيبة الطبقيّة والثّقافة وظروف العيش والماضي التاريخي عند الشعب المعني، ملمّعين ومشوّهين على هذا النحو سياسة الحزب في القضية القوميّة. يؤدّي هذا المعطى إلى الانحراف من الشّيوعيّة إلى روح الهيمنة الرّوسيّة-العظيمة والاستعمار؛ إلى الشّوفيّة الرّوسيّة-العظيمة. ومن جهة ثانية، هناك الشّيوعيون المحلّيون الذين عاشوا مرحلة الاضطهاد القومي الصّعبة ولم يتخلّصوا بعد من أشباحها وغالبا ما يبالغون في أهميّة الخصائص القوميّة في عمل الحزب والمنظّات الشّوفيّة، تاركين على هذا النحو مصالح الكادحين الطبقيّة في الظلّ، أو أنّهم يخلطون ببساطة مصالح كادحي الأمة المعنيّة بما يسمّى المصالح «القوميّة العامّة» في نفس الأمة المعنيّة، غير عارفين بالتمييز بين الأولى والثّانية ومستندين على هذه الأخيرة في عمل الحزب. يؤدّي هذا المعطى، بدوره، إلى الانحراف من الشّيوعيّة إلى الوطنيّة الديمقراطيّة البرجوازيّة التي تكّسي أحيانا شكل نزعة إسلاميّة ونزعة تركية (في الشّرق).

يستنفذ هذان الانحرافان، المقلقان من جهة مبادئ الأميّة الشّيوعيّة، قوتهم، ولا مردّ لذلك في البداية، في عدم تقاوة المنظّات الشّيوعيّة في المحيط؛ فمن جهة، تأثّر عناصر من الكولاك المستعمر في الحزب، ومن جهة أخرى يتسرّب إليه ممثّلين للمجموعات الاستغلاليّة المحليّة.

وإذ يعتبر المؤتمر، بكلّ صرامة، هذين الانحرافين مقلقين وخطيرين على قضية الشّيوعيّة، فإنّه يؤكّد على ما للانحراف الأوّل من خطورة وضرر خاصّين؛ الانحراف نحو روح الهيمنة الرّوسيّة-العظيمة والاستعمار. ويذكر المؤتمر بأنّه يستحيل في المحيط خلق منقّلات شيوعيّة حقًا متينة ومرتبطة بال جماهير وجمّعة في صفوفها العناصر العالّيّة وشبه العالّيّة من السّكان الأصليّين والرّوس على أساس الأميّة دون الخلفات الاستعماريّة والقوميّة في صفوف الحزب. بالتالي، ويعتقد المؤتمر أنّ تصفيّة التحفّظات القوميّة في الشّيوعيّة، وفي مقدّمها تلك الاستعماريّة، هي من أعظم محمات الحزب في المحيط.

وإذ يدعو المؤتمر إلى التّضال الحازم ضدّ كلّ العناصر غير الشّيوعيّة التي تتسرّب داخل حزب الطبقة العالّيّة، فإنّه يبيّن الحزب من خطر «توسيعه» عن طريق قبول

عناصر قومية من البرجوازية الصغيرة والكولاك. ويشير المؤتمر في ذات الوقت إلى ضرورة استغلال العناصر المثقفة القومية من الشعوب التي كانت مضطهدة استغلالا حكيما وبطريقة منظمة؛ تلك العناصر الشريفة والتي أثبتت إخلاصها للسلطة السوفيتية ❖

أتمنى
2012